مصر التي في خاطر زويل

خلال زيارته الأخيرة إلى القاهرة، التى يكتب عنها فى مقالـــه، زار العالم الكبير الدكتور أحمد زويل مقر جريدة الشروق ، وعبر ساعتين مـــن الأسئلة التى تبحر فى المستقبل، لم يهدأ عقل الرجل، ولم تتوقف كلماتـــه ، فتح د. زويل قلبه لأسرة عبر رحلة إلى المستقبل.

- عن الولايات المتحدة، ودوره كمستشار للرئيس باراك أوباما.
- عن مصر، وأحلامه المتجددة للوطن، والأم.
- أسئلة تحدد مستقبل أمريكا.

لا يوجد فى علمي رئيس دولة ولا عالم ولا مفكر ولا أى فرد فـــى الدنيا يقدر أن يعالج المشكلات بمفرده أو فقط بإصدار الأوامر، مثـــل هـــذه الأمور ليس لها فاعلية فى نظام الحكم فى الشعوب المتقدمة، الرئيس أوباما مثلا يريد فكرا جديدا وهو كثير السؤال، وبالذات عن مستقبل أمريكا.

أنجح علماء العالم، هو الذى يعرف كيف يسأل الـــسؤال الـــصحيح، وعليه تجد أننا كمستشارين للرئيس أوباما مشغولون منذ ٤ أشهر تقريبـــا في صياغة أهم ٦ أسئلة تتعلق بمستقبل أمريكـــا خـــلال القـــرن الحـــادي والعشرين.

الشروق: وما هي أكبر مشكلة تواجه أمريكا حاليا؟

د.زويل: المشكلة الأكبر هي التعليم والابتكار، حيث بهما يصنع المستقبل، أمريكا تحتل المركز الأول فى التعليم بعد كوريا وفنلندا وغيرهما .كما أن هناك خطرا يأتي من الصين التى أصبحت منتجاتها تغزو أسواق العالم بنظامها التعليمى الذى أثبت كفاءة واضحة.

الشروق: نريد أن نحدد الأسئلة الست التى قلتم إنها تحدد مصير الولايات المتحدة فى المستقبل؟

زويل :ما يشغل أمريكا الآن هو أن تظل محتفظة بموقع الصدارة علميا وسياسيا واقتصاديا وعسكريا، ولذا فإن أمريكا تفكر جديا فى ٦ قضايا أساسية، مثل :مستقبل التعليم والابتكار، والطب وعلوم الحياة، والأمن القومى، والطاقة والمناخ، والاقتصاد والعولمة، وأخيرا مستقبل علوم وتكنولوجيا الفضاء.

إذا أخذنا ملف التعليم والابتكار، سنجد انه يرتبط بالأمن القومى وبالفضاء، وكل هذا يمكن من خلاله طرح العديد من الأسئلة الفرعية، منها: هل الحروب القادمة ستندلع من الفضاء؟ وهل سيتم استخدام الفضاء لجمع معلومات عن جميع البشر علي الكرة الأرضية؟ هل من مصلحة أمريكا إرسال سفن فضائية إلى المريخ للبحث عن حياة هناك أم لا؟ هل يمكن أن نجد على كوكب آخر غازا أو بترولا، أو معادن؟

وهناك أيضا ملف المناخ وتغيراته التى تؤثر على كل دول العالم، ففى مصر مثلا نحن نواجه مشكلة مياه مع أثيوبيا ولكننا قد نواجه مشكلة أخطر، فلو أن الثلج فى القطب الشمالي سيواصل الذوبان بنفس المعدلات

الحالية، فإن الدلتا قد تختفي تحت المياه وقد تغرق مساحات كبيرة من مصر.

الشروق: هذا خطر حقيقي ولكننا لا نواجهه بما يستحقه من اهتمام؟

زويل :التغيرات المناخية واضحة جدا، ودرجة الحرارة ترتفع، والعلماء يؤكدون أن الارتفاع لدرجة مئوية واحدة فقط أمر فى منتهى الخطورة على الحياة على كوكب الارض. ونحن مثلا فى كاليفورنيا نشعر بتغيرات غريبة، فما كنا نسميه صيفا أوشتاء أصبح شيئا آخر، وأنا عمرى ما رأيت السماء تمطر في موسم الصيف، وهذه تغيرات واضحة ليس فقط فى كاليفورنيا وإنما فى أنحاء العالم.

أما بخصوص الطاقة فإن مايشغل أمريكا هو سبل الخروج من عنق الزجاجة الذى تمثله الدول الغنية بالبترول، والاهتمام فى أمريكا الآن ينصب على البحث عن مصادر جديدة للطاقة سواء الطاقة الشمسية أو النووية أو الوقود الحيوى، بهدف أنهم خلال ١٠ إلى ٢٠ سنة يكون وضع أمريكا فى هذا المجال قويا جدا.

وعموما نظرية الأمن القومى الأمريكى لا تقبل بوجود قوة عسكرية أكبر منها، وهناك عمليات تطوير دائمة للأسلحة بمختلف أنواعها من الطائرات والمدافع والصواريخ عابرة القارات. مع الاهتمام بالسياسة الخارجية ومواجهة التطرف الدينى الذى يهدد أمن أمريكا.

أما بخصوص الصحة وعلوم الحياة، فإن أوباما لديه برنامج وطنى، وهو يعلم جيدا أن ٣٠ مليون أمريكى ليس لديهم تأمين صحي، وأصبحت هذه المسألة قضية قومية فى غاية الأهمية حاليا.

وأنا أتصور أنه فى خلال ١٠ أو ٢٠ سنة سنشهد تطورا فوريا فى مجال الطب من استخدام الخلايا الجذعية إلى الهندسة الوراثية، وسوف يصبح الطب أكثر «شخصيا» وأيضا الطب الوقائى.

قريبا من الرئيس الأمريكي

الشروق : خلال اجتماعات مستشارى الرئيس الأمريكى، هل تشتركون كلكم في المناقشة؟

زويل :هناك استعدادات قبل الاجتماعات، قد يتقابل كل اثنين من المستشارين ٦ مرات أو اكثر لبحث موضوع ما، وعندما نلتقى جميعا فى اجتماع نشارك كلنا فى المناقشات.

الشروق: هل يمكن أن تعطينا تصورا لواحد من هذه الاجتماعات؟

الحياة الأمريكية تتميز بأنها بدون تعقيدات كثيرة، فعندما تتلاقى مع الرئيس أوباما. يكون فيه بساطة، لكن هناك احتراما بالطبع، فمثلا أنا أخاطبه بمستر بريزيدنت». وهو نفسه يتكلم معنا بطريقة لطيفة ومحترمة نتبادل فيها الآراء وليس الأوامر. الخوف لا يساعد على الإبداع، وأوباما لن يسمع من مستشاريه «الكلام الصح» إذا كانوا يخافون منه.

الشروق: يعنى كلكم تتكلمون فى كل شىء وفى مجالات خارج تخصصكم؟

زويل :هذه هى الفكرة.. يعنى لو أنت تريد فكرة من أحد المتخصصين فى موضوع النشر مثلا فمن الطبيعي أن نختار رائدا فى النشر ليكون هو الرئيس والقائد فى هذا الموضوع لكن هذا الرائد يحتاج لأن يسمع آراء من أناس خارج مجال النشر، وبالتأكيد سوف يقدمون له أفكارا جديدة تفيده وتفيد المجتمع ككل.

الشروق: هل ترى أن أوباما «مالى مركزه» أمام المؤسسات الأمريكية؟

زويل :أوباما إنسان ذكى يتمتع بكاريزما، ويستطيع بسهولة أن يوصل المعلومة للناس .وهذه نقطة مهمة وهى فى رأيى موهبة من عند ربنا. ولكن هذا غير كافٍ فى القائد، القائد لا بد أن يكون عنده رؤية ومعرفة.

الشروق: هناك شىء غريب في العقلية الأمريكية، فهناك رئيس مثل بوش كان يقول لنا إنه يتكلم مع ربنا، ثم يأتى بعده الرئيس أوباما ويقوم بتشكيل مجلس مستشارين، ما سبب هذا التناقض الكبير فى هذين التوجهين؟

زويل: أمريكا أكثر بلد متدينة في العالم الغربى. وأقل بلد هي السويد. والتاريخ يقول إن الأمريكيين أتوا إلى أمريكا من أوروبا فى عصر

الاضطهاد الدينى. وبالتالى كثيرون منهم كانوا أصلا متدينين من أيام جدود جدودهم، ومنهم جزء كبير جدا أصوليون متعصبون لمذهبهم.

أمريكا ليست فقط نيويورك أوكاليفورنيا، أمريكا أيضا هى الوسط الغربى والولايات الزراعية، وهى أيضا الولايات الحمراء والزرقاء والمحافظة وذات النزعات التحررية.

وأنا نفسى تنتابنى أحيانا حالة ذهول مما يحدث فى أمريكا، فمثلا مجلس التعليم فى ولاية كنساس صوّت بعدم تدريس نظرية داروين فى المدارس، وهذا ما قد يدفعك إلى القول إنها بلد غير عادية. لكن قوة أمريكا الحقيقية كامنة فى دستورها القوى وفى مؤسستها القوية وفى احترام حرية الفرد، ففى الكثير من القضايا الاجتماعية المهمة يحدث نقاش حاد قد يصل للمحكمة العليا للفصل فيه، وكما تعلمون هى نفس أمريكا التى أخرجت رئيس جمهوريتها من الحكم بأسلوب دستورى.

هموم مصرية

الشروق: دون الدخول فى مقارنات، ما هي هموم مصر أو أكثر مشكلاتنا تأثيرا على المستقبل؟

د. زويل: مشكلتنا نحن هنا فى مصر إن السائد هو التجمد الدينى وكثرة الفتاوى.

وقضية التعليم فى صناعة المستقبل أعتبرها مشكلة أمن قومى ، وهناك أيضا تشتت سياسى فى الطاقة البشرية من أجل البحث عن مستقبل

ديمقراطى لمصر ، كما توجد العوامل البيئية الخطيرة مثل الغزو المائى على الدلتا ومشكلة المياه فى الجنوب والحدود الشرقية والعشوائيات والتباين الطبقى الغير مسبوق، هذه أو هؤلاء بعض الهموم والمشكلات مما أراها شخصيا.

الشروق: هل النظام فى مصر سيستفيد لو أنه يمتلك الإرادة والمنظومة والرؤية، أم أنه يكتفى بالوضع الحالى لانه يدرك أنه «ما فيش فايدة» ؟

زويل: الجميع يعرف المشكلة أن العملية التنفيذية فى مصر تسير في طرق مختلفة،وفى حالات كثيرة ليس لصالح البلاد، فى مصر هناك دوائر كثيرة وتفاصيل تستغرق الوقت فيما لا طائل من ورائه، رغم أن الوقت مهم جدا، وأذكر أن آنسة سألتنى في الإسكندرية سؤالا أعجبنى عن الذى تغير فى حياتى بعد حصولى على نوبل؟ وأجبت أنه يمكن أهم شىء نوبل عملتها في حياتى، إن احترامى للوقت والذى كنت أفعله قبل نوبل زاد إلى حد كثير جدا وبالتالى أصبح لكل دقيقة أهمية ومعنى ،. لكن مشكلتنا فى مصر أننا نهدر الوقت.

الشروق: لو كنت عضوا فى مجلس مستشارين للرئيس مبارك وطلب منكم تحديد ٦ نقاط استراتيجية لمصر. فماذا تقول؟

زويل: سؤال صعب، يتطلب تفكيرا عميقا.

أولا، الأمن القومى الداخلى بما يتطلبه من الحفاظ على الوحدة الوطنية وفض الاشتباك بين الدين والفكر والعلم وخلق نظام دستورى جديد

لحكم رشيد، وبالذات فى الفترة القادمة من تاريخ مصر وإعادة هيكلة التعليم والبحث العلمى والإعلام . هذا كله نسميه الأمن القومى الداخلى، لأنه لا تقدم فى أى بلد إلا إذا بدأ افراد الشعب يشعر أن هناك تغيرا شاملا وصادقا.

أما الأمن القومى الخارجى فعناصره معروفة، لكن لابد من التأكيد على تأمين الحدود الشرقية وتعمير سيناء،

وأيضا ينبغى الاهتمام بقدراتنا الزراعية والصناعية ولابد أن يكون لدينا اكتفاء ذاتى من القمح، فلا يصح أبدا أن نستورد القمح في القرن الـ ٢١. بعد أن كنا أول دولة زراعية من ٢١ قرن قبل الميلاد ولابد من الاهتمام بالصحة العامة للناس وبالذات الغير قادرين، وحينها يمكن أن نبنى مصانع ومعامل تساير أحدث التقنيات التكنولوجية.

الشروق:ما هو أكثر شىء يفرحك وأكثر شىء يزعجك فى مصر؟

زويل :ما يزعجنى التجمد الفكرى والضعف الثقافى، لأن مصر طول عمرها تنجح بقوتها الثقافية. ولكن هناك جمودا، والقوة الفكرية المصرية مشتتة.

وأكثر شىء يسعدنى أن أجد جموعا من الشباب تهتم بالمعرفة، وأرى ذلك مثلا عندما أجدهم يتابعون محاضراتى العامة فى كل مكان، وهذا يمنحنى الأمل فى المستقبل.